التايمز

شريان الحياة في لندن ومفخرة إنجلترا

لندن – السياحة الإسلامية

إنّ نهر التايمز مشهور جدا بحيث أن في عشرينات القرن الأخير كتب بعض الشعراء العرب شعرا في وصف هذا النهر مع أنّهم لم يشاهدوه أبدا. إنه مشهور بتأريخه وثقافته وتشكيلته المدهشة. بالاستناد إلى حجمه، ومجرّد الـ ٢١٥ ميلا من طوله، من منبعه في منطقة الكوتسولدز إلى مصبه في الطرف الجنوبي، فإنه بالكاد يستدعي إثارة عواطف عظيمة. لكن قيام الإمبراطورية البريطانية وانتشار الأدب الإنجليزي في العالم جعلا منه النهر الأكثر شهرة في العالم.

لكن بالنسبة للمواطنين البريطانيين، فإن النهر يحمل معنى خاصا لكلّ منهم. إذا كنت ترغب بالهدوء والجمال الطبيعي، فان الامتدادات الهادئة والمنعزلة في الأجزاء العليا من التايمز سوف تناسبك. في أكسفورد، يقفز النهر – المعروف محليا بإيسيس – إلى الحياة. هنا تستطيع أخذ جولة نهرية باستئجار قارب أو محرك سريع الحركة، أو مجرد الجلوس في أماكن على ضفة النهر ومراقبة الجذافين من نوادي الجامعة المشهورة عالمياً وهم يقومون بالتدريب أو التنافس.

ثمّ يتعرّج التايمز في طريقه خلال الريف الجميل والمستوطنات التاريخية بتشكيلة هائلة من الأماكن. وتستطيع المشي في الطريق المحاذي للنهر والمصمم لمن يتمتعون بسياحة المشي والرياضة على هذا الطريق الذي يمتدّ من المصدر إلى المصب. ويمكنك، بدلا عن ذلك، أن تنساب في النهر حيث ستفاجأ بتجربة مختلفة. وستمر بالمركب بالعديد من البلدات، بضمن ذلك أكسفورد، أبنغدون، هينلي، ريدنك، ميدنهيد، ونزور، والتن، هامبتون كورت، وكنغستون. المواقع التاريخية الجديرة بالاهتمام تكثّر من القرى الصغيرة جدا مثل مابليدورهام بطاحونته المائية التي ما تزال تدور، إلى القلاع الكبيرة وقصور ونزور وهامبتون كورت. في حوالي تيدينغتون، يغيّر النهر إيقاعه. ورغم أن النهر ما يزال على بعد 60 ميلا من البحر، فإنه يصبح متأثرا بالمد والجزر.

وعندما يمر النهر بالعاصمة، ترى على جانبه الحدائق والمتنزهات في ضاحية المدينة تختلط بالقصور الجورجية وبجانبها بيوت فاخرة جديدة بنيت على أرصفة الميناء السابقة في النهاية الجنوبية للنهر. وتستطيع أن تسافر بالباخرة من ويست مينستر حيث البرلمان، إلى ريتشموند، كيو، تشزويك وبوتني في الطريق لكنغستون وهامبتون كورت.

ومن الرياضات الشعبية على النهر التجديف الذي تجرى له سباقات قوارب أصبحت بمثابة أحداث سنوية، وهي تعرف بـ"الريغاتا"، والكلمة ايطالية تعني مباراة سباق القوارب الصغيرة. يعود سباق قوارب هينلي المشهور إلى 1839 ويحدث كلّ سنة في يوليو/تموز. ومن خلال سباق هينلي نتج سباق مشهور آخر أيضا، حيث أنه في 1829، تحدّت كليّة القدّيس جون، في كامبردج، كلية كنيسة السيد المسيح، في أكسفورد – فولد سباق أكسفورد-كامبردج الذي جرى بين قفل هامبليدين وجسر هينلي. وقد فازت أكسفورد! ويقام هذا الحدث كلّ سنة ويحظى بالاهتمام العظيم في بريطانيا كلها.

والرحلة النهرية كانت تسلية فيكتورية ←

مفضّلة. اليوم أكثر من 19 ألف مركب مجاز للإبحار والسكن في التايمز فيما وراء مدينة تيدينغتون، كما أن هناك أكثر من 6 آلاف مركب زائر. وقد يعكر مسرّات الرحلة النهرية صيفا ضرورة التوقف عند الأقفال الـ45 التي تسيطر على التايمز الأعلى. ويلاحظ منذ القرن الماضي هبوط تدريجي في استعمال النهر للتجارة، نظرا للمنافسة من قبل السكك الحديدية والطرق البرية.

التايمز نهر سهلي، والمنطقة المحيطة به تحتوي على تنوع غني من الغابات، والمروج والأرض المعشبة والأهوار المالحة قرب المصبّ. بعض الحيوانات النهرية تقيم في مكان واحد، بينما يهاجر الآخر على طول التايمز، بضمن ذلك سمك السلمون أيضا!

هناك 14 مليون زيارة إلى نهر التايمز الريفي كلّ سنة، وبحدود 28 مليون زيارة محليّة عادية إضافية تدعم مئات الأعمال التجارية وآلاف الوظائف. هناك أيضا 26 ألف مركب مسجّل من قبل وكالة البيئة التي تعتبر هي الجهة المسؤولة عن عمل الأقفال، وحوالي 9 آلاف مركب تدار بصورة شخصية. ويتوفر أيضا 97 مركب لخدمة المسافرين وللتأجير و101 مركب منزل مسجّلة للاستعمال السكني. هناك 23 نادي تجذيف، و23 نادي تجذيف بزوارق الكَنُو (زورق طويل خفيف ضيق يقاد بمجذف أو أكثر) و25 نادي إبحار مفتوحة للجمهور.

كمّية الأعمال المتولّدة بوجود النهر يمكن الإطلاع عليها من الأرقام المتعلقة بعام 2001 فقد كان هناك:

حوالي 5,6 مليون زيارة مكث تقود إلى 20,9 مليون سرير مبيت و782 مليون مصروفات تتخللها.

تقريبا 43 مليون زيارة نهارية من المواقع خارج المنطقة تولّد 1,1 بليون إضافية في الإنفاق.

يفضي الإنفاق في هذا المجال السياحي إلى تدوير 1,75 بليون في دورة رأس مال الأعمال التجارية المحلية ويدعم 72 ألف وظيفة تقريبا.

وتدور حول التايمز الآن، بشكل خاص في لندن، مناقشة علنية كبيرة. والسؤال الآن هو عن نوع النهر الذي يتطلبه المستقبل؟ وهناك مطالب هائلة مطروحة على التايمز. أكثر من 7 ملايين شخص يعتمدون على النهر في حاجتهم للماء و124 محطة صرف صحي تصب في النهر، هي فضلات الـ 11 مليون الذين يعيشون في وادي التايمز. ويقبل الناس بصورة متزايدة على بناء بيوت جديدة على ضفة النهر. ملايين من الناس يزورون النهر ويتمتّعون بكلّ المسرّات التي يوفرها لهم. الجواب على هذه المطالب له عواقب بعيدة المدى، ليس فقط على بريطانيا لكن بالنسبة للعديد من الدول النامية التي تهتمّ بقضية تحسين استفادتها من الأنهار.

رأيت المراكب تجيء وتغادر وستيفن حاضر دائما لإعطاء المساعدة. لكن ماذا يحدث بعد ساعات العمل؟ هل يدبر مالكو المراكب الأمور بأنفسهم؟ يبدو الأمر هكذا. "عموماً" يقول السّيد نيومان " هناك اشراف على الأقفال طوال السنة. وإذا جاء مركب وليس هناك مراقب للقفل، فإن أهل المركب يديرون القفل بأنفسهم، أمّا بشكل كهربائي أو يدوي. والتعليمات واضحة جدا. وإذا حصلت لهم مشكلة فنحن نعلن الهواتف التي يمكن لهم الاتصال بها وسيأتي شخص للمساعدة.

المراكب تنتظر دورها.
The boats wait at the lock.

من حياة مراقب قفل على النهر

أعيش في جزيرة "هامهو" في نهر التايمز وأحتاج لعبور "قفل شيبيرتون" والقناة التي ترتبط به مرّتين في اليوم على الأقل. وقد قمت الشهر الماضي بجولة في القفل وقابلت مراقب القفل السّيد "ستيفن نيومان" الذي يعيش في جوار القفل مع زوجته و أولاده الثلاثة. وجرت بيننا محاورة طريفة عن القفل وعمله وعائلته. لقد عمل هنا كمراقب قفل لمدّة 20 سنة، وهو مشغول دائما بصيانة القفل وقد خمّن بأنّ عدد المراكب التي تمرّ بالقفل لا تقل عن 25 ألف. وموسم الصيف يكون بالطبع أشد ازدحاما بسبب العطلة المدرسية. وعدد المراكب التي تعبر القفل أثناء أغسطس/آب لوحده يقرب من 5 آلاف مركب، لكن أيام الشتاء هادئة، ولا يمر العديد من المراكب، بل ربما واحد أو واثنان في اليوم. لكن، طريقة الشغل تتغيّر، بسبب كمّية المطر، ويصبح ستيفن مشغولا بالسيطرة على مستوى الماء.

ليس هناك حركة تجارية كثيرة على النهر هذه الأيام، والشركات تستعمل الآن الطرق. وأكثر المراكب هي ملك خاصّ وهناك نسبة عالية من المراكب التي تؤجر لأسبوع أو ما شابه من مدة. كلّ المراكب على نهر التايمز يجب أن تكون مجازة من قبل وكالة البيئة.

رأيت المراكب تجيء وتغادر وستيفن حاضر دائما لإعطاء المساعدة، لكن ماذا يحدث بعد ساعات العمل؟ هل يدبر مالكو المراكب الأمور بأنفسهم؟ يبدو الأمر هكذا. "عموما" يقول السّيد نيومان " هناك اشراف على الأقفال طوال السنة، وإذا جاء مركب وليس هناك مراقب للقفل، فإن أهل المركب يديرون القفل بأنفسهم، أمّا بشكل كهربائي أو يدوي. والتعليمات واضحة جدا. وإذا حصلت لهم مشكلة فنحن نعلن الهواتف التي يمكن لهم الاتصال بها وسيأتي شخص للمساعدة.

تلفّت حول القفل حيث الحدائق اللطيفة، لكن من البستاني؟ السّيد نيومان قال " أغلب الأقفال جميلة جدا. أنا أعتني بهذا المكان وكلّ مراقب قفل يعتني بقفله. في الحقيقة كانت عندنا منافسة لاختيار أفضل حديقة."

ويعتبر ستيفن نفسه محظوظا جدا لكونه يعيش في هذه المنطقة، فهي أحدى أجمل البقع على النهر. إضافة إلى أن الوصول إلى القفل سهل جدا. بعض الأقفال يمكن الوصول إليها فقط عبر النهر. ثم إنّ الفائدة الأخرى هي كون شيبيرتون تبعد فقط 15 ميلا من لندن. والناس هنا، فوق ذلك كله، طيبون جدا. ناقشت إمكانية تطوير المنطقة من النواحي المختلفة للسياحة. وافق ستيفن وقال بأنّ الإدارة تريد سحب سيّاح أكثر إلى النهر.

توقّفنا عند المقهى. أخبرني ستيفن بأنّه كان مدفوعا من قبل الإدارة قبل حوالي 15 سنة، لإدارة المقهى وتوفير المرطبات في منطقة القفل. وهو يعتبرها خدمة للجمهور، وهي أيضا طريق لترغيب الناس في زيارة النهر. ■

شيبيرتون – عبد الصاحب الشاكري

القفل ببوابتيه.

The lock at Shepperton with its two gates.

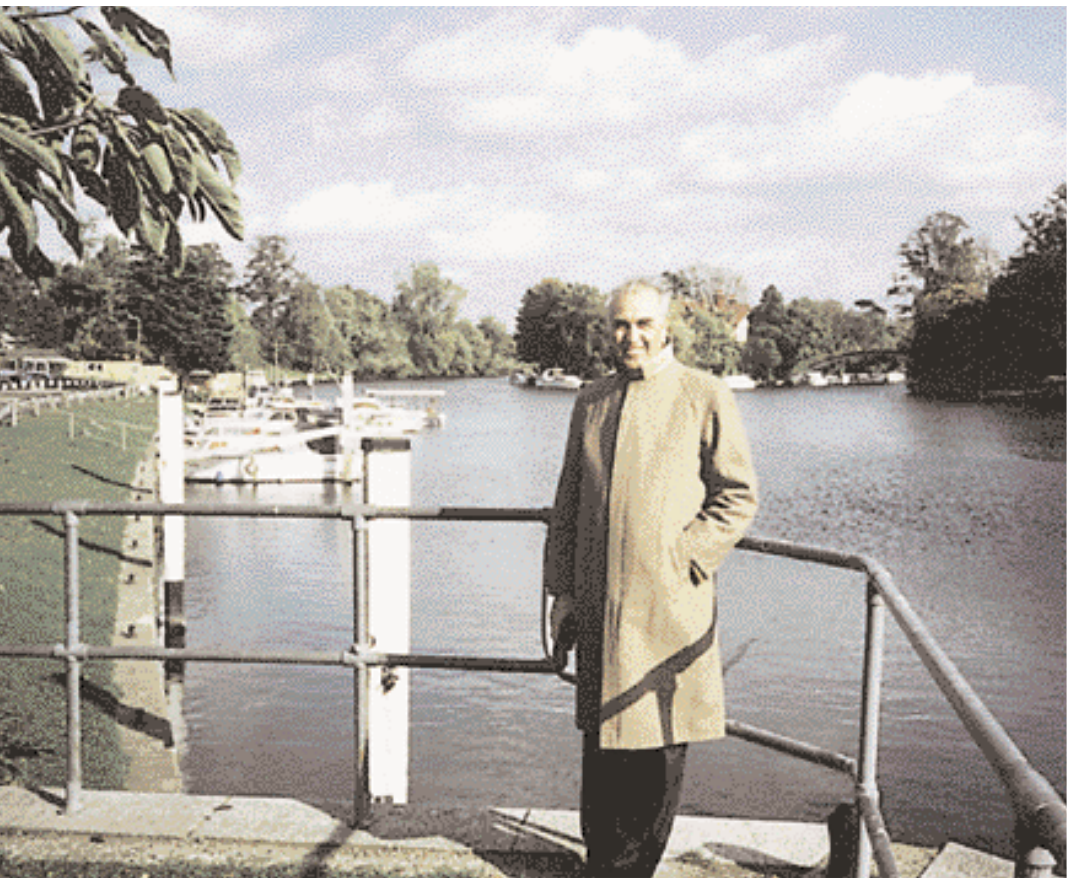

السيد الشاكري عند منطقة القفل في شيبيرتون.

Mr. Shakiry at Shepperton lock.

The Thames at Shepperton.

التايمز عند منطقة شيبيرتون.